الفصل الرابع
الصفدي اللغوي

عُرِف عن الصفدى اهتمامه بالعلوم اللغوية ، وألّف كتبا فيها ، وسأعرض لجهوده فى هذا الجانب .

آراء الصفدى فى اللغة مبثوثة فى أكثر مؤلفاته ، على سبيل الاستطراد ، أو فى شرح النصوص ، وخصَّ بها بعض كتبه ، وصل إلينا منها ثلاثة ، هى :

- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف .
- غوامض الصحاح .
- نفوذ السهم فيما وقع للجوهرى من الوهم .

والكتب الثلاثة حُقّقت ، وطبع منها اثنان ، وأقدِّم :

- أوّلاً عرضا موجزا لهذه الكتب الثلاثة .
- ثانيا أشير إلى بعض آرائه فى غيرها ؛ لنتبيّن من خلالها مكانته فى علوم اللغة .

* * *

تصحيح التصحيف وتحرير التحريف

اللغة كائن اجتماعى حىّ ، ينمو ، ويتطوّر ، ويتعرّض لتغييرات كثيرة بمرور الوقت ، وبفعل عوامل متعدّدة ، يرجع بعضها إلى الفرد ، وبعضها إلى الجماعة التى ينتسب إليها ، كما يرجع بعضها إلى البيئة الطبيعية ، أو الثقافية ، هذه التغييرات قد تقترب بالكلمات إلى اللغة الفصحى ، أو تبعد بها عنها .

ويبدو لى أنَّ هذه التغييرات - والتى سمّاها اللغويون العرب « اللحن » - مصاحبة لظهور اللغة ، لا تنفصل عنها ، فمن المؤكّد أنَّ اللحن كان موجودا فى عصر رسول الله ﷺ [1] ، وفى عصر صحابته ، قال الأصفهانى [2] : « حدّثنى

---

(١) راجع : المدارس النحوية ١١ .

(٢) أبو الفرج ، على بن الحسين بن محمد (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ) أديب ، مؤرخ ، صاحب الأغانى . انظر : ذكر أخبار أصبهان ٢ / ٢٢ ، وجمهرة الأنساب ١٠٧ ، وخزانة الأدب للبغدادى ٦ / ٦٢ ، وأعيان الشيعة ٤١ / ١٥٥ والأعلام ٤ / ٢٧٨ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٧٨ .

محمد بن جرير الطبرى [١] ، أنا أبو السائب [٢] ، ثنا وكيع [٣] ، عن هشام بن عروة [٤] ، عن أبيه [٥] عن عائشة [٦] - رضى الله عنها - كانت تنشد قول لبيد [٧] :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِى أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فِى خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

فتقول : رَحِمَ اللهُ لَبِيدًا ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِم ؟ .

فقال عروة : رَحِمَ اللهُ عَائِشَةَ ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَتْ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِم ؟ .

وقال هشام : رَحِمَ اللهُ عُرْوَة ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِم ؟ .

فقال وَكِيعٌ : رَحِمَ اللهُ هِشَامًا ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِم ؟ .

فقال أبو السائب : رَحِمَ اللهُ وَكِيعًا ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِم ؟ .

فقال أبو جعفر : رَحِمَ اللهُ أَبَا السَّائِبِ ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ مَنْ نَحْنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِم؟.

---

(١) أبو جعفر ، محمد بن جرير بن يزيد (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) مؤرخ ، مفسر صاحب تاريخ الأمم . انظر : فهرست ، الطوسى ١٨٢ ، والمحمدون من الشعراء ٢٦٣ ، وطبقات الفقهاء ، للشيرازى ٩٣ ، وطبقات الحفاظ ، للسيوطى ٣٠٧ والأعلام ٦ / ٦٩ ، ومعجم المؤلفين ٩ / ١٤٧ .

(٢) سلم بن جنادة (١٧٤ - بعد ٢٥٠ هـ) كوفى ، ثقة . انظر : تاريخ الإسلام للذهبى [٢٥١ - ٢٦٠] ١٥٧ ، وفى الحاشية جريدة مصادر .

(٣) أبو سفيان ، وكيع بن الجرّاح بن مليح (١٢٩ - ١٩٧ هـ) حافظ ، محدث . انظر : الوافى بالوفيات ٢٧ / ٤٤٨ ، والأعلام ٨ / ١١٧ .

(٤) أبو المنذر ، هشام بن عروة بن الزبير (٦١ - ١٤٦ هـ) تابعى ، من أئمة الحديث . انظر : الوافى بالوفيات ٢٧ / ٣٥٨ ، والأعلام ٨ / ٨٧ .

(٥) أبو عبد الله ، عروة بن الزبير بن العوّام (٢٢ - ٩٣ هـ) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة . انظر : الوافى بالوفيات ١٩ / ٥٤٨ ، والأعلام ٤ / ٢٢٦ .

(٦) أم عبد الله ، عائشة بنت أبى بكر الصديق - رضى الله عنهما - أم المؤمنين (٩ ق . هـ - ٥٨ هـ) أحفظ نساء المسلمين ، وأعلمهن بالدين ، والأدب ، والطب

انظر : المعارف ١٣٤ ، والاستيعاب ٤ / ١٨٨١ ، ومروج الذهب ٣ / ١١٠ ، وصفة الصفوة ٢ / ٦ ، وأسد الغابة ٥ / ٥٠١ ، والوافى بالوفيات ١٦ / ٥٩٦ وتهذيب التهذيب ١٢ / ٤٣٣ ، والأعلام ٣ / ٢٤٠ .

(٧) أبو عقيل ، لبيد بن ربيعة بن مالك ، العامرى (ت ٤١ هـ) شاعر ، من الفرسان الأشراف . انظر : الجرح والتعديل ٧ / ١٨١ ، والمعارف ٣٣٢ ، وصفة الصفوة ١ / ٧٣٦ ، والأعلام ٥ / ٢٤٠ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٥٢ .

ونقول نحن : والله المستعان ، فالقصّة أعظم من أنْ توصف بحال » [١] .

لقد أهمّ الصفدى ما شاع فى عصره من كثرة التصحيف والتحريف ، وفى مقدّمة الكتاب ، بعد ديباجته تناول الموضوعات الآتية :

* لم يسلم من التصحيف والتحريف أكثر العلماء والأفاضل ؛ فقد صحّف جماعة هم أئمة هذه الأمّة ، من الكوفيين ، والبصريين منهم : الخليل بن أحمد [٢] ، وأبو عمرو بن العلاء [٣] ، والأصمعى [٤] ، والجاحظ [٥] ..... وغيرهم كثيرون .

* كان الأوّلون يصحّفون القليل ، وفشا ذلك فى المحدّثين ، وفى الفقهاء ، وفى النحاة ، وفى أهل اللغة ، وفى رواة الأخبار ، وفى نقلة الأشعار ، ولم يسلم من ذلك غير أكثر القرّاء ؛ لأنّهم كانوا يأخذون القرآن من أفواه الرجال .

* وقع التصحيف لبعض القرّاء ، مما أوجب نقط المصاحف ، وإعجام الحروف .

* ضرب أمثلة كثيرة لتصحيف المُحَدِّثين ، والفقهاء ، والكتاب والشعراء ، والأدباء ، وأمثلة للكلمات التى يكثر فيها التصحيف .

---

(١) الأغانى ١٧ / ٢٣ ، والغيث المسجم ٢ / ٢٢١ ، وانظر تخريجات الخبر فى تصحيح التصحيف ٨ .

(٢) أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد بن عمرو ، الفراهيدى (١٠٠ - ١٧٠ هـ) أذكى العرب ، ومن أئمة اللغة والأدب ، وأوّل من وضع معجما . انظر :

الجرح والتعديل ٣ / ٣٨٠ ، والمعارف ٥٤١ ، ونور القبس ٥٦ ، وشرح الشريشى ٤ / ٣٨٢ ، وسير أعلام النبلاء ٧ / ٤٢٩ ، والوافى بالوفيات ١٣ / ٣٨٥ ، والمزهر ١ / ٧٦ ، والفلاكة والمفلوكون ٩٣ ، والأعلام ٢ / ٣١٤ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ١١٢ .

(٣) زبّان بن عمّار ، التميمى (٧٠ - ١٥٤ هـ) نحوى ، من أئمة اللغة ، وأحد القراء السبعة . انظر : المعارف ٥٣١ ، و٥٤٠ ، ونور القبس ٢٥ ، وسير أعلام النبلاء ٦ / ٤٠٧ ، والعبر ١ / ١٧١ ، والوافى بالوفيات ١٤ / ١٧١ ، وتهذيب التهذيب ١٢ / ١٧٨ ، وبغية الوعاة ٢ / ٢٣١ ، والأعلام ٣ / ٤١ .

(٤) أبو سعيد ، عبد الملك بن قريب بن على ، الباهلى (١٢٢ - ٢١٦ هـ) أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان . انظر : نور القبس ١٢٥ ، و سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٧٥ ، والوافى بالوفيات ١٩ / ١٨٧ ، والكنى والألقاب ٢ / ٣٩ والأعلام ٤ / ١٦٢ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٨٧ .

(٥) أبو عثمان ، عمرو بن بحر بن محبوب ، الكنانى (١٦٣ - ٢٥٥ هـ) عالم أديب ، شاعر ، رأس فرقة من فرق المعتزلة . انظر : فرق وطبقات المعتزلة ٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ١١ / ٥٢٦ ، وسرح العيون ٢٤٨ ، والأعلام ٥ / ٧٤ ومعجم المؤلفين ٨ / ٧ .

سبب تأليف الكتاب :

يقول الصفدى [١] : «ولمَّا وقفت على كتب أهل العلم ، ممن تصدّى لرفع التصحيف ، ودفع التحرّيف ، مثل الشيخ أبى محمد القاسم بن على بن محمد الحريرى ، صاحب المقامات - رحمه الله تعالى - فقد وضع كتابا سمّاه « درّة الغوّاص فى أوهام الخواص » وهو كتاب جيّد ، وذيّل عليه الشيخ الإمام اللغوى النحوى أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى [٢] - رحمه الله - وسمّاه « التكملة » .... ومثل الشيخ الجليل القاضى أبى حفص عمر بن خلف بن مكّى الصقلّى النحوى [٣] ، وضع كتابا سمّاه « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » .... ومثل الشيخ الإمام أبى بكر محمد بن حسن الزبيدى [٤] - رحمه الله تعالى - وضع كتابا سمّاه « ما تلحن فيه العامّة » ، ومثل الشيخ الإمام الحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى - رحمه الله - وضع كتابا سمّاه « تقويم اللسان » ، ومثل الإمام محمد بن يحيى الصولى [٥] - رحمه الله تعالى - وضع فيما صحّف فيه الكوفيّون مصنّفا صغيرا ، ومثل الإمام أبى عبد الله حمزة بن الحسن الأصبهانى [٦] - رحمه الله تعالى - وضع كتابا سمّاه « التنبيه على حدوث التصحيف » ، ومثل العلاّمة أبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى [٧] - رحمه الله تعالى - فإنّه

---

(١) تصحيح التصحيف ٦٠ .

(٢) ابن الجواليقى ، البغدادى (٤٦٦ - ٥٤٠ هـ) عالم بالأدب واللغة .
انظر : الأعلام ٧ / ٣٣٥ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٥٣ .

(٣) الأندلسى (ت ٥٠١ هـ) قاض ، لغوى ، محدّث . انظر : الأعلام ٥ /٤٦ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٢٨٤ .

(٤) الأندلسى ، الإشبيلى (٣١٦ - ٣٧٩ هـ) شاعر ، أديب ، عالم باللغة والأدب . انظر : الأعلام ٦ / ٨٢ ، ومعجم المؤلفين ٩ / ١٩٨ .

(٥) أبو بكر ، الشطرنجى (ت ٣٣٥ هـ) أديب ، نديم الخلفاء .
انظر : الأعلام ٧ / ١٣٦ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١٠٥ .

(٦) (٢٨٠ - ٣٦٠) مؤرخ ، أديب ، كثير التصانيف فى أنواع العلوم .
انظر : الأعلام ٢ / ٢٧٧ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ٧٨ .

(٧) (٢٩٣ - ٣٨٢ هـ) فقيه ، أديب . انظر : الأعلام ٢ / ١٩٦ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٣٩ .

وضع فى التصحيف مصنّفا ، وقد وقفت على قطعة من شرحه له ، ومثل الضياء موسى الناسخ الأشرفى [١] - رحمه الله تعالى - جمع أوزاقا فى هذا الباب ، ومثل الإمام الحافظ العلاّمة الناقد الحجّة أبى الحسن على ابن عمر بن أحمد الدارقطنى [٢] - رحمه الله تعالى - وضع كتابا فى التصحيف ، والنفع به للمحدِّث أكثر - أردت أنْ أنتقى من ذلك كله مجموعا يغنى كلّه عن أجزاء هذه المصنّفات المذكورة » .

خطّة الكتاب :

جمع الصفدى من هذه الكتب التسعة [١٩٨٥] مادة لغوية هى كل ما حوته ، ومن المؤكّد أنّ بعض هذه المواد قد تكرر فى أكثر من كتاب منها ، وشرح خطّته بقوله [٣] : « أرتّب ذلك على حروف المعجم ؛ ليكون أسهل حالة الكشف ، وأسوغ حالة الرشف ، فهو فرد تناول ذلك المجموع ... ولم يكن لى فى هذا غير التهذيب ، وحسن الرصف والتبويب ، اللّهمّ إلاّ ما يتخلّل أثناء ذلك من تفسير وتقييد ، وتقرير

---

(١) لم أعثر له على ترجمة ، وقد وضع الأستاذ السيد الشرقاوى - محقق الكتاب - ما يحتمل ذلك ، وذكر - نقلا عن الدرر الكامنة - علمين ، هما :

أ - موسى بن على بن يوسف بن محمد ، الزرزارى ، القطبى ، ضياء الدين (٦٥٨ - ٧٣٠ هـ) خطيب ، مقرئ ، ابن قاضى إربل ، له ترجمة فى أعيان العصر ٥ / ٤٧٨ ، وعنه ينقل ابن حجر فى الدرر .

ب - موسى بن على بن نوغاى تمر (طوغان) بن هولاكو (ت ٧٣٧ هـ)

ملك العراق بعد بوسعيد ، ثم هزم ، وقتل ، وروى الذهبى أنّ القاضى حسام الدين الغورى كان يثنى على عقله ودينه ، وله ترجمة فى أعيان العصر ٥ / ٤٨٣ وعنه ينقل ابن حجر .

أقول : لا يصلح العلمان لما أراد الأستاذ الشرقاوى ، فليسا هما الناسخ المذكور فى عبارة الصفدى ؛ ذلك لأنّ :

الأول : أستاذ الصفدى ، وأجاز له فى القاهرة سنة ٧٢٨ هـ ، ولو كان هو صاحب الكتاب لكان من مرويات الصفدى بالإجازة ، ولنبّه على ذلك .

والثانى : أتى ، لا يقرأ ، ولا يكتب ، وعبارة الصفدى أنّه كان نشأجا وتحرّف اللفظ فى رواية ابن حجر نشاخا ، قال الصفدى : « كان قد نشأ عند نصرانى ، بدقوقا ، يتعلّم الحياكة » .

(٢) الدارقطنى ، الشافعى (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ) إمام عصره فى الحديث ، وأوّل من ألف فى القراءات . انظر : الوافى بالوفيات ٢١ / ٣٤٨ ، والأعلام ٤ / ٣١٤ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ١٥٧ .

(٣) تصحيح التصحيف ٦٣ .

وتمهيد ... وقد جعلت لكل مصنّف نقلت عنه رمزا يخصّه ، وإشارة من حروف المعجم تنبّه على فَصِّه ، وتَقَصِّه :

فعلامة كتاب « درّة الغواص » للحريرى	ح
وعلامة « التكملة » ، للجواليقى	ق
وعلامة « تثقيف اللسان » ، للصقلى	ص
وعلامة « ما تلحن فيه العامة » ، للزبيدى	ز
وعلامة « تقويم اللسان » ، لابن الجوزى	و
وعلامة كتاب « ما صحّف فيه الكوفيّون »	ك
وعلامة كتاب « التنبيه على حدوث التصحيف »	ث
وعلامة كتاب تصحيف العسكرى رحمه الله تعالى	س
وعلامة الضياء موسى الناسخ	م

فإنّه جمع فى هذا الباب أوراقا ؛ فعلت ذلك خوفا من التطويل ، وقد يجتمع المصنِّف وغيره على نقل الشيء الواحد ؛ فأذكر العلامتين ، أو الثلاث ، أو الأربع ، ويكون المتأخّر هو صاحب العبارة » .

وقد لا حظ الدكتور عبد العزيز مطر فى المقارنة بين لحن العامة ، للزبيدى وتصحيح التصحيف الملاحظات التالية :

١ - أنّه يكتفى فى حالات كثيرة بنقل التصويب دون نقل الشواهد ، أو الاستطراد فى شرح المادة اللغوية .

٢ - فى حالات اشتراك بعض هذه الكتب التسعة فى التصويب ، يختار أسلوب واحد منها [١] .

٣ - فيما ينقله الصفدى عن الزبيدى زيادات لم ترد فى مخطوطات الكتاب [٢] .

وقد ميّز الصفدى بين ما ينقله ، وبين رأيه الخاص ، فيقول : « قلت » ... وقد تتبّعت هذه الإضافات التى يزيدها ، فوجدتها كالآتى :

---

(١) أشار الصفدى إلى أنّه يختار عبارة آخرها فى ترتيب الرموز .

(٢) مقدمة لحن العامة ، للزبيدى ٢٨ .

* **التكملة والتتميم** : ربّما لاحظ نقصا فى المادة ؛ فيكمّلها ، فمثلا : ينقل من درّة الغواص « من ذلك أنّهم يحذفون الألف من « ابن » فى كل موضع يقع بعد اسم ، أو كنية ، أو لقب ، وليس ذلك بمطّرد ؛ وإنّما يحذف الألف من « ابن » إذا وقع صفة بين علمين ، من أعلام الأسماء والكنى والألقاب ؛ ليؤذن بتنزّله مع الاسم قبله بمنزلة الاسم الواحد ؛ لشدّة اتصاف الصفة بالموصوف وحلوله محلّ الجزء منه ؛ ولهذه العلّة حذف التنوين من الاسم قبله ، فقيل : « علىُ بن محمد » ، كما يحذف من الأسماء المركبة فى « رامهرمز ، وبعلبك » ، فما عدا هذا الموطن ؛ وجب إثبات الألف فيه ، وذلك فى خمسة مواطن :

أحدها : إذا أضيف « ابن » إلى مضمر ، كقولك : هذا زيد ابنك

والثانى : إذا أضيف إلى غير أبيه ، كقولك : المعتضد بالله [١] ابن أخى المعتمد على الله [٢] .

والثالث : إذا نسبت إلى الأب الأعلى ، كقولك : الحسن [٣] ابن المهتدى بالله [٤] .

الرابع : إذا عُدِلَ به عن الصفة إلى الخبر ، كقولك : إنَّ كَعْبًا ابن لُؤَىّ [٥] .

---

(١) أبو العباس ، أحمد بن طلحة بن جعفر (٢٤٢ - ٢٨٩ هـ) خليفة عباسى ، كان عون أبيه فى حياته أيّام خلافة المعتمد .

انظر : الوافى بالوفيات ٦ / ٤٢٨ ، والأعلام ١ / ١٤٠ .

(٢) أبو العباس ، أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم (٢٢٩ - ٢٧٩ هـ) من خلفاء بنى العباس ، تولى الخلافة سنة ٢٥٦ هـ ، ولم يكن له من الأمر شىء . انظر : الوافى بالوفيات ٢٩٢/٦ ، والأعلام ١ / ١٠٦ .

(٣) أبو محمد ، الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد (ت ٤٤٠ هـ) من أمراء بنى العباس ، عارف بأخبار الخلفاء ، وأيام العرب .

انظر : الوافى بالوفيات ١٢ / ١٩٩ ، وشذرات الذهب ٣ / ٢٦٤ .

(٤) أبو إسحاق ، وقيل : أبو عبد الله ، محمد بن هارون الواثق بن محمد المعتصم (٢٢٢ - ٢٥٦هـ) من خلفاء الدولة العباسية .

انظر : الوافى بالوفيات ٥ / ١٤٤ ، والأعلام ٧ / ١٢٨ .

(٥) أبو هُصَيْص ، كعب بن لؤى بن غالب (ت نحو ١٧٣ ق . هـ) من قريش ، من عدنان ، جدّ جاهلى ، خطيب ، من سلسلة النسب النبوى الشريف انظر : الأعلام ٥ م ٢٢٨ .

والخامس : إذا عُدِلَ به عن الصفة إلى الاستفهام ، كقولك : هل تميم ابن مُرّ[١] ؟ .

وذلك أنّ « ابنًا » فى الخبر ، والاستفهام بمنزلة المنفصل عن الاسم الأوّل » .

هذه رواية درّة الغواص ، ويكمل الصفدى :

« قلت[٢] : والسادس : أنْ يقع « ابن » أوّل السّطر على كل حال .

والسابع : أنْ يقع « ابن » بين وصفين ، دون علمين ، كقول أبى الطيّب[٣] :

الْعَارِضُ الْهَتِنُ ابْنُ الْعَارِضِ الْهَتِنِ ابْـ

ـنُ الْعَارِضِ الْهَتِنِ ابْنُ الْعَارِضِ الْهَتِنِ

وكقولك : هو الأمير ابن الأمير ، أو الفاضل ابن الفاضل » .

* **الاستشهاد للمعنى** : ينقل من « تثقيف اللسان » : ويقولون :

و« من لحوم الحُمُر الآنسيّة »[٤] بالمدّ . والصواب : « الإنسيّة » ، و « الأَنَسِيّة » بالقصر ، وفتح النون ، لغتان .

ويستشهد لهذا المعنى ، يقول : « قلت[٥] : « ولهذا قال أبو الطيّب[٦] :

أَظَبْيَةَ الْوَحْشِ ، لَوْلاَ ظَبْيَةُ الأَنَسِ لَمَا غَدَوْتُ بِجَدٍّ فِى الْهَوَى تَعِسِ

وقد يجمع تعليقه بين التكميل والتتميم ، وبين الاستشهاد ، فقد نقل عن « التكملة » ، وتقويم اللسان » : العامّة تقول :

فَرْوَانك للذى ينذر بين يدى الأسد ، وهو سبع يصيح بين يديه ، كأنّه يعلم الناس بمجيئه .

---

(١) تميم بن مرّ بن أد بن طابخة ، جدّ جاهلى ، بنوه بطون كثيرة .
انظر : الأعلام ٢ / ٨٧ .

(٢) تصحيح التصحيف ٧١ .

(٣) ديوانه ١٥٨ .

(٤) راجع تخريج الحديث فى تصحيح التصحيف ح ٤ / ٦٦ ، وانظر : اللسان « أنس » ٦ / ١٣ ، وفيه : المشهور فيها كسر الهمزة ، منسوبة إلى الإنس ، وهم بنو آدم ، الواحد إنسىّ ...ويجوز الأُنْس - بضم الهمزة - وهو ضد الوحشة ، وقد جاء فيه الكسر قليلا ، ورواه بعضهم بفتح الهمزة والنون .

(٥) تصحيح التصحيف ٦٦ .

(٦) ديوانه ١٧ .

والصواب « فُرَانِق » ، وهواسم أعجمى » .

ويأتى دور الصفدى فى التتميم ، والاستشهاد : « قلت[١] : هو البريد الذى ينذر بين يدى الأسد ، وهو معرب « بروانك » ، قال امرؤ القيس [٢] :

فَإِنِّى أَذِينٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكًا بِسَيْرٍ تَرَى مِنْهُ الْفُرَانِقَ أَزْوَرَا

* تصحيح المادة : نقل من « تقويم اللسان » العامة تقول :

أَنْطَاكِيَة ، بتخفيف الياء ، والصواب تشديدها .

ويصحّح الصفدى المادة ، « قلت [٣] : كذا ذكره أبو الفرج ابن الجوزى - رحمه الله تعالى - فى مصنَّفه .

وقد قال ابن الساعاتى [٤] فى أماليه : « ما كان من بلاد الروم ، وفى آخره ياء مكسوعة بهاء ، فهى مخفّفة ، كمَلَطْيَة ، وسَلَمْيَة ، وأنْطَاكْيَة ، وقَيْسَارِيَة ، وقُونِيَة .

ولقد استهوى الحريرى غرام المشاكلة والمقابلة أنْ قال :

« أَنَخْتُ بِمَلَطِيَّةَ مَطِيَّةَ البَيْنِ » [٥] .

وخفّفها المتنبى ، كما هو حقّه ، حيث قال [٦] :

[وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِى دِمَاءِ مَلَطْيَةٍ] مَلَطْيَةَ أُمٌّ لِلْبَنِينَ ثَكُولُ

قلت : الذى أعرفه أنَّ « قيساريّة » هى التى بساحل الشام ، عند عسقلان ، ومنها الشاعر المشهور مهذّب الدين محمد بن نصر القيسرانى [٧] ، وأمَّا البلد التى فى الروم فإنّها « قيصرية » ، نسبة إلى قيصر ، ملك الروم » .

---

(١) تصحيح التصحيف ٤٠٥ .

(٢) راجع تخريج البيت فى الحاشية رقم ٢ ، وامرؤ القيس (نحو ١٣٠ ، نحو ١٨٠ ق ز هـ) أشهر شعراء الجاهلية . انظر : الوافى بالوفيات ١٤ / ٤٧ .

(٣) تصحيح التصحيف ١٣٥ .

(٤) أحمد بن على بن ثعلب ، مظفر الدين (ت ٦٩٤ هـ) درّس فى المدرسة المستنصرية ، وكان مضرب المثل فى الذكاء ، والفصاحة ، له مؤلفات كثيرة . انظر : الأعلام ١ / ١٧٥ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٤ .

(٥) انظر : المقامة الملطية .

(٦) ديوانه ٣٤٩ .

(٧) (٤٧٨ - ٥٤٨ هـ) شاعر مجيد . انظر : عيون الروضتين ١ / ٢٣٧ ، وتكملة إكمال الإكمال ٢٤١ ، وتاريخ ابن الوردى ٢ / ٧٧ ، وأدب الدول المتتابعة ١٧٩ ، والأعلام ٧ / ١٢٥ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٧٧ .

وروى ما جاء فى « تثقيف اللسان » : « ويقولون : بلغ الغبار أعنان السماء .

والصواب أعناء السماء ، جمع عَنًا ، والأعناء : النواحى ، أو يقال : عنان السماء ، والعنان : السحاب ، الواحدة عنانة .

ويقول الصفدى [١] : « قلت : ويجوز تصحيح « أعنان » السماء ؛ لأنَّ أعنان السحاب : صفائحها ، وما اعترض من طرائقها ، كأنّه جمع عنَن » .

* إضافة بنية جديدة : ينقل عن « ما تلحن فيه العامة » ، و« تثقيف اللسان » : « ويقولون « آرَنْج » ، و « لاَرَنْج » .

والصواب : « نارَنْج » ، ولا يجوز « لاَرَنْج » ، ولا « آرَنْج » .

ويضيف الصفدى : « قلت [٢] : وسمعت أنا من يقول : « يَارَنْج » بالياء آخر الحروف .

وينقل عن « تثقيف اللسان » : « ويقولون :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الّتِى أَتَعَزَّلُ . والصّواب « الّذى » أتعزَّل .

يقول الصفدى [٣] : « قلت : هذا البيت لـ [عبد الله ابن] محمد الأحوص الأنصارى [٤] .

وتمامه [٥] : حَذَرَ الْعِدَا ، وَبِهِ الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ

والتقدير فيه : الذى أتعزّله أنا .

ولقد رأيت جماعة من أهل عصرى الفضلاء ينشدونه :

« التى أتغَزَّل » ، بالغين المعجمة ، وهو بالعين من العُزْلة ، والاعتزال ؛ فيغلطون فيه فى موضعين .

---

(١) تصحيح التصحيف ١١٤ .

(٢) نفسه ٦٧ .

(٣) نفسه ٧٩ .

(٤) أبو عاصم ، وقيل : أبو عثمان ، عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت ١٠٥ هـ) شاعر هجاء ، من ولد حمى الدّبْر الصحابى رضى الله عنهم .

وفى الأصل « لمحمد الأحوص » سهو .

انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ٤٣٦ ، والأعلام ٤ / ١١٦ .

(٥) ديوانه ١١٦ ، وانظر التخريجات فى تصحيح التصحيف ٧٩ ح ٢ .

« النادرة ، والطُّرفة : نقل عن « تثقيف اللسان » :

« ويقولون : الأَبُّ ، والأَخُّ ، يشدِّدونهما .

والصواب بالتخفيف ، وذكر ابن دريد [١] أنّ الكلْبِيّ [٢] قال :

يقال : أَخٌّ مثقّل ، وأُخَّة ، قال ابن دريد : وما أدرى ما صحّته » .

يقول الصفدى [٣] : « قلت : « الأَبُ » مخفّفا ، أصله « أبَوٌ » على « فَعَلٌ » ، محرّك العين ؛ لأنَّ جمعه آباء ، مثل « قفا وأقفاء » ، و « رحًى وأرحاء » ، والذاهب منه الواو ؛ لأنّك إذا ثنّيته قلت فيه : أبوان ، والجمع والتثنية يردَّان الأشياء إلى أصولها ، وبعض العرب يقول : « أبانِ » على النقص ، وفى الإضافة « أبيك » ؛ وعلى هذا قرأ بعضهم : ﴿ .. وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ .. ﴾ [٤] .

وقال بعضهم يوما لشهاب الدين القوصى [٥] : أنت عندنا مثل الأبِّ ، وشدَّد باءها ، فقال : لا جرم أنّكم تأكلوننى !!

يعنى : أنّهم بهائم ؛ لكونهم شدّدوا الباء ، والأبُّ : هو التين .

ونقل عن « التكملة » و « تقويم اللسان » : «ويقول بعض المتحذلقين : « الإبِط » بكسر الباء . والصواب « الإبْط » بسكون الباء ، ولم يأت فى الكلام على « فِعِل » إلاّ : إِبِل ، وإِطِل ، وحِبِر ، وهى صُفْرة الأسنان ، وفى الصّفات : امرأة بِلِز : وهى السمينة ، وأتان إِبِد ، تلد كلّ عام ، وقيل : التى أتى عليها الدهر » .

---

(١) أبو بكر ، محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) أشعر العلماء وأعلم الشعراء ، صاحب الجمهرة . انظر : طبقات الزبيدى ٢٠١ ، وإنباه الرواة ٣ / ٩١ ، والأعلام ٦ / ٨٠ ، ومعجم المؤلفين ٩ / ١٨٩ .

(٢) أبو المنذر ، هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ) مؤرخ ، نسّابة .

انظر : الوافى بالوفيات ٢٧ / ٣٦٢ ، والأعلام ٨ / ٨٧ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ١٤٩ .

(٣) تصحيح التصحيف ٦٩ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٣٣ . ونقل الشرقاوى عن البحر المحيط ١ / ٤٠٢ ، أنّ قراءة الجمهور « وإله آبائك » ، وقرأ ابن عباس ، والحسن ، وابن يعمر ، والجحدرى « وإله أبيك » .

(٥) أبو المحامد ، إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن ، الأنصارى ، الخزرجى (٥٧٤ - ٦٥٣هـ) فقيه ، أديب ، محدّث . انظر : الوافى بالوفيات ٩ /١٠٥ ، والأعلام ١ / ٣١٢ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٦٣ .

ويقول الصفدى [١] : قلت : قرأ بعض الطلبة ، على بعض الأشياخ « إِبط » ، وحرّك الباء ، فقال له : لا تحرّك الإبْط يفُح صُنَانُه » .

* **الضبط** : وهو أكثر تعليقات الصفدى ، من مثل : أُجْبِل

الشاعر : إذا انقطع ، والصواب أَجْبَل .

يقول الصفدى [٢] : « قلت : يريد أنّهم يقولون : أُجْبِلَ ، بضم الهمزة ، وكسر الباء ، على مالم يسمّ فاعله ، والصواب فتح الهمزة والباء ، على وزن « أَفْعَلَ » .

* **الشرح** : وهو نوعان : شرح المعنى اللغوى للكلمات ، وشرح دلالة التركيب .

فالأول : مثل : « يقولون : قِدْرٌ إبْرَام » . والصواب « بِرَام » .

ويقول الصفدى [٣] : « قلت : « البِرام » بالكسر جمع بُرْمَة ، وهى القِدْرُ .

والثانى : مثل : « ويقولون للأمر الذى يُشّكّ فيه : « ما أَشُكُّ » ، وذلك خلاف الأمر المراد .

ويقول الصفدى [٤] : « قلت : لأنَّ « ما » نافية لشكّه ، وهو يشكُّ ؛ فناقض الواقع » .

* **التوجيه** : وأعنى به أنْ يصوّب الصيغة بتوجيهها إلى جذر لغوى آخر يجانس جذرها الأوّل ، فمن ذلك : « يقولون فى التعجب من الألوان والعاهات : ما أبيض هذا الثوب ، وأعور هذا الفرس ، وذلك غلط ؛ لأنّ العرب لم تَبْن فعل التعجب إلاّ من الفعل الثلاثى الذى خصّته بذلك لخفّته ، والغالب على « أَفْعَل » الألوان والعيوب التى يدركها العِيَان ؛ فإنْ أردت التعجب من بياض الثوب قلت : ما أحسن بياض هذا الثوب ، وما أقبح عَوَر هذا الفرس » .

ويقول الصفدى [٥] : « قلت : يجوز أنْ تقول : ما أبيض هذا الطائر ، إذا تعجّبت من كثرة بَيْضِه ، لا من بَيَاضِه » .

---

(١) تصحيح التصحيف ٧٣ .

(٢) نفسه ٨٣ .

(٣) تصحيح التصحيف ٧٥ .

(٤) نفسه ١٠٩ .

(٥) تصحيح التصحيف ٧٧ .

قيمة الكتاب : وصفه الدكتور رمضان عبد التواب ، فى تقديمه له بأنّه كتاب « جليل » [١] ؛ فهو أوسع كتب « لحن العامة » مادة ، وأكثرها إحاطة ، فقد جمع ما حوته تسعة كتب :

اثنان منها مفقودان ، وهما كتابا الصولى ، والضياء الناسخ .

وأضاف مواد جديدة لا توجد فى مخطوطات الكتب السبعة الباقية أضف إلى ذلك ما علّق به الصفدى نفسه على تلك المواد ، شارحا ، وضابطا ، ومتمما ، ومصححا .

غوامض الصحاح

كان معجم الجوهرى [٢] « تاج اللغة وصحاح العربية » فتحا جديدا فى ترتيب المعجم العربى ، وتنسيق موادّه ، وتطوير بنائه ، فقد استفاد الجوهرى من تجارب السابقين ، ورأى أنّ تنسيق المواد بحسب تقاليبها الاشتقاقية فيه مشقّة وعسر ، كما أنّ تنسيقها بحسب أبنيتها الصرفية يشتت المادة اللغوية ، ويفرّق وحدتها ؛ ووصل إلى نتيجة رائدة ، وهى ترتيب المعجم باعتبار الحروف الأصلية ، وهى الطريقة المثلى التى انتهى إليها ، ومنذ ظهورمعجمه أصبح شاغل العلماء ، وكثرت الدراسات من حوله ما بين حواش ، وتكملة ، واختصار ، وتهذيب ، وانتقاد ... حتى بلغ عدد الكتب التى ألفت فيه نحوا من خمسين كتابا [٣] .

وفى الوقت الذى كنت أدرس فيه كتاب الصفدى : « صرف العين » تبيّن لى اهتمامه بهذا المعجم بصفة خاصّة ؛ فالفصل الذى كتبه عن « جملة المشترك فى العين لغة » [٤] ، بناه على المادّة اللغوية التى جمعها الجوهرى ، وقلت فى دراستى

---

(١) تصحيح التصحيف ٣ .

(٢) أبو نصر ، إسماعيل بن حماد ، الفارابى (ت ٣٩٣ هـ) لغوى ، أديب ، خطّاط ، أوّل من حاول الطيران ، واستشهد فى محاولته .

انظر : سير أعلام النبلاء ١٧ / ٨٠ ، والعبر ٢ / ١٨٤ ، والوافى بالوفيات ٩ / ١١١ ، والمزهر ١ / ٩٧ ، والأعلام ١ / ٣١٣ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٦٧ .

(٣) راجع : معجم المعاجم ٢١٦ - ٢٣٤ .

(٤) راجع : صرف العين ١٠٠ ، و٤٢١ .

الكتاب : من المعروف أَنَّ للصفدى عنايةً خاصة بهذا المعجم ؛ فقد عكف عليه ، يدرسه ، وينقده ، ويكتب عنه ، فشرح شواهده فى كتابه « حَلْى النَّوَاهِد على ما فى الصحاح من الشواهد » وبيَّن صعوبة رد الكلمات إلى أصولها الصرفية فى كتابه « غوامض الصحاح » ، واختصره فى كتابه « نجد الفلاح فى مختصر الصحاح » ، ونقده فى كتابه « نفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهرى من الوهم » .

ولا نكاد نعرف له عناية بمعجم آخر من معاجم اللغة الكثيرة التى عرفتها المكتبة العربية ، وكان ابن منظور [١] قد أذاع فى الناس معجمه الكبير« لسان العرب » الذى شُهِر ، فى ذلك الوقت ، وكتب عنه علماء عصره ، يثنون عليه ، ويصفونه بالحسن - كما يقول الصفدى - ولكنه لم ير إلا المجلد الأول منه فقط [٢] ؛ ولذلك كان اعتماده كله على الصحاح .

أسباب تأليف الكتاب : بعد أن بيّن الصفدى مكانة الصحاح ، وأثنى عليه قال [٣] : « ولكنْ فيه ألفاظ يتعذّر كشفها على مثلى ويضيع ظلّها بين بان وأَثْلِ ؛ لأنَّ الفاضل يدرك مظنَّات ما يطلب ويعرف أخلاف ما يمرى ويحلب ؛ فلا يتصعّب عليه مرام ، ولا يتشعّب به طريق غرام ، وأهل مكّة أخبر بشعابها .... وأمّا من كان مثلى ، لا يفقه ولا ينقه ، بضاعته مزجاة ، وجهله أوقعه فى شرك الحيرة ، وما نجّاه ؛ فيحتاج إلى معرفة أصول الكلمات ، وما طرأ عليها من الزوائد ... وذلك أمر يشق ولوج لجّته الزخّارة ويتعذّر على من رامه تناول الكواكب السيّارة ، وأين الثُّريَّا من يد المتناول ؟ :

فَلَمْ يَدْرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُحَيِّينَا
وَلاَ نَحْنُ مِنْ فَرْطِ الْجَوَى كَيْفَ نَسْأَلُ

---

(١) أبو الفضل ، محمد بن مكرم بن على ، جمال الدين ، ابن منظور ، الأنصارى ، الرويفعى ، الإفريقى ، المصرى (٦٣٠- ٧١١ هـ) لغوى ، أديب شاعر ، عمل فى ديوان الإنشاء ، بالقاهرة ، وولى القضاء ، فى طرابلس وكان من المكثرين فى التأليف ، اختصر الكثير من أمهات كتب الأدب ، واللغة

انظر : الوافى بالوفيات ٥ / ٥٤ ، وتاريخ الأدب العربى ، بروكلمان ق ٦ / ٦٤ والأعلام ١٠٨/٧، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٤٦ .

(٢) انظر : الوافى بالوفيات ٥ / ٥٦ ، نكت الهميان فى نكت العميان ٢٧٦ .

(٣) غوامض الصحاح ٤٧ .

وقد أحببت جمع الغوامض التى فى الصحاح ، ورشف ثغورها التى تفترّ عن مباسم الأقاح » .

خطّة الكتاب : يقول الصفدى عن الخطة التى اختطّها للكتاب [١] : « رتّبت ذلك على حروف المعجم ، فأذكر أوّل الكلمة ، وثانيها فى مكان لا محيد لها عنه ، ولا محيص ، وأُودِعُهَا فى سِفْر سُفُورٍ ، بعد ما كان فى غَيْصٍ عويص ، وأعرضها فى سوق نَفَاق ، سَوْمُه على المفلس رخىّ ، ورخيص ؛ ليخفّ كلُّ المئونة ، ويرفّ ظلّ المعونة .

وقد قدّمت قبل ذلك مقدّمة من التصريف ، فى معرفة الحروف الزوائد التى تدخل على أصول الكلمة ، وحروف الإبدال وحروف الحذف ، يتعيّن على الأديب عرفانها ، ويتزيّن به إذا حلّى جيد دُرِّها ، وعقيانها ، وإذا استحضرها أغنته عن هذا الكتاب ، وغيره ، وأمن به ما ندّ من سواه ، فى زجر طيره » .

قيمة الكتاب : لم يأت الكتاب بجديد فى المادّة اللغوية ، ولكن ترجع أهميّته إلى ثلاثة أمور :

الأوّل : الضبط : فالملاحظ أنّ الجوهرى كثيرًا ما يغفل ضبط الكلمات ، وهذا العيب لا يظهر فى الطبعات المحقّقة ، المضبوطة ، للمعجم ، وإنّما تظهر فى أصل الكتاب ، فمثلا :

يقول الجوهرى [٢] : « الأرية - بالضم والتشديد : أصل الفخذ وأصله أُرْبُوَّة ؛ فاستثقلوا التشديد على الواو ، وهما أُرْبِيَّتَان » .

ونسأل الجوهرى : ماذا نضم ؟ وماذا نشدّد ؟

ويقول الصفدى [٣] : « الأُرْبِيَّة : بضم الهمزة ، وسكون الراء ، وكسر الباء الموحّدة ... » .

ويقول الجوهرى [٤] : « الأسكفة : عتبة الباب » .

---

(١) نفسه .

(٢) الصحاح ٦ / ٢٣٥٠ .

(٣) غوامض الصحاح ٦٧ .

(٤) الصحاح ٣ / ١٣٧٦ .

ويقول الصفدى [١] : « الأُشكُفَّةُ : للباب - بضم الهمزة ، وسكون السين المهملة ، وضم الكاف ، وتشديد الفاء ، وفتحها : عتبة الباب » .

نلاحظ أنَّ الجوهرى ضبط المثال الأول ضبطا غائما ، وفى المثال الثانى أغفل الضبط تماما ، بينما حرص الصفدى على ضبط الحروف ، والتفريق بين المهمل ، والمعجم ، ولا يخفى ما فى هذا العمل من دقّة ، وما له من أهميّة ، وبخاصة فى الكلمات الغريبة ، والقليلة الاستعمال ، أو الكثيرة الحروف والتى يمكن أن يدخلها التحريف والتصحيف .

والثانى : الترتيب : فقد رتّب الكلمات بحسب حروفها الأولى ودون الرجوع إلى مجرّدها ، وقد حاول الدكتور عبد الإله نبهان أنْ يشير إلى سبق الصفدى إلى هذا الترتيب ، وربّما كان له فضل ابتكاره [٢] ، ومن المعلوم أنّ محاولات ترتيب المعاجم بحسب أوائل الكلمات بدأه أبو عمرو الشيبانى [٣] فى معجمه « الجيم » ولكنّه لم يراع الترتيب إلاّ فى الحرف الأوّل فقط ، وبدون تجريد الكلمات من الزوائد [٤] ؛ فمثلا ذكر الكلمات الآتية على الترتيب [الأوق ، الألب ، المأفول ، الأفق ، الأزوح ، المأموم ..]

جاء من بعده البرمكى [٥] الذى أعاد ترتيب الصحاح بدءا بالحرف الأول ، وراعى الحرف الثانى ، إذا كانت الكلمة ثلاثية والثالث إذا كانت الكلمة رباعية ، والرابع إذا كانت خماسية ، وهى الطريقة المتبّعة فى ترتيب المعاجم الحديثة .

ولمّا كان البرمكى يرتب الكلمات بعد تجريدها من الزوائد فطريقته ليست طريقة الصفدى ، وإنّما يمكن القول إنّ الصفدى طوّر طريقة الشيبانى ؛ فراعى الحرف الثانى فى الترتيب ، بعد الحرف الأول ، ودون أنْ يجرّد الكلمة ، ولست أرى

---

(١) غوامض الصحاح ٧٠ .

(٢) راجع مقدمة غوامض الصحاح ٣١ - ٣٣ .

(٣) إسحاق بن مرار ، من الموالى (٩٤ - ٢٠٦ هـ) لغوى ، أديب ، جمع أشعار نحو ثمانين قبيلة عربية . انظر : الوافى بالوفيات ٨ / ٤٢٥ ، والأعلام ١ / ٢٩٦ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٣٨ .

(٤) نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة . انظر : مقدمة الصحاح ١٠٤ ، ومعجم المعاجم ٢٤٣ ، وفيه تفسير لتسميته بالجيم بالرغم من أنّه يبدأ بحرف الهمزة .

(٥) سبق التعريف به فى صفحة ٤٠ .

رأى الدكتور نبهان فى أنّ الذى أوحى إلى الصفدى هذا الترتيب كتاب « الأشباه والنظائر فى الألفاظ القرآنية » المنسوب للثعالبى ، ولا كتاب « اصطلاحات الصوفية » للقاشانى [١] ، ولا كتاب « التعريفات » للجرجانى [٢] ؛ ذلك لأنّ الكتاب الأول لم تصحّ نسبته للثعالبى ، والكتاب الثانى لمؤلف معاصر للصفدى ، وليس أحدهما أولى من صاحبه بالتقديم ، ومؤلف الكتاب الأخير متأخّر عن الوقت الذى ألّف فيه الصفدى كتابه .

ووجّه الدكتور نبهان إلى الصفدى بعض المآخذ [٣] ، فمن ذلك قوله : « يبدو أنّ المؤلف كان فى عجلة من أمره ؛ فلم يكن دقيقا ، فى ترتيب الكلمات ، وخاصّة فيما يتعلّق بثوالث الحروف ، فقد أورد الحيزبون بعد الحيزوم .... » والذى أراه أنّ الدكتور نبهان هو الذى كان فى عجلة من أمره ، لا الصفدى الذى بيّن فى خطّته أنّه راعى الحرفين الأوّل والثانى ، فقط ، فلم يلتفت إلى الثالث أصلا ، فى ترتيبه ، فلا يؤاخذ بمالم يفعل .

وأشار - أيضا - إلى أنّ طريقة الصفدى « على الرغم مما فيها من سهولة ويسر وتبسيط ، وخاصّة لمن يتعلّمون العربية ، من غير أهلها ، وللناطقين بها من غير المتمرّسين بصرفها ؛ فإنّها لا تخلو من عيبين أساسيين :

١ - أنّها قمينة بأن تقضى على الملكة الصرفية التى يجب أنْ ترسخ فى نفس الناطق بالعربية ، منذ نشأته التعليمية الأولى .

٢ - وأنّها تشتّت المادة الواحدة فى عشرات الصيغ ؛ فتضيع لحمة القرابة ، وتنفصم عرى النسب ، فى مشتقات تنتمى لأصل واحد » [٤] .

وهذا الانتقاد صحيح بالنسبة لمن يصنع معجما ، وأمّا بالنسبة للصفدى فعمله

---

(١) عبد الرزاق بن أحمد بن محمد (ت نحو ٧٣٠ هـ) صوفى ، مفسر .
انظر : الأعلام ٣ / ٣٥٠ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٢١٥ .

(٢) على بن محمد بن على ، الشريف (٧٤٠ - ٨١٦ هـ) فيلسوف ، لغوى . انظر : الأعلام ٥ / ٧ ، معجم المؤلفين ٧ / ٢١٦ .

(٣) مقدمة غوامض الصحاح ٣٤ .

(٤) مقدمة غوامض الصحاح ٣٣ .

أقرب ما يكون بوضع « فهارس » لبعض الكلمات التى يصعب الاهتداء إلى جذرها اللغوى ، ومن هنا ندرك أنّ طبيعة الموضوع هى التى أوحت إلى الصفدى بخطّته فيكتب الكلمة بجميع حروفها ، ثم يرشد من يجهل معناها إلى جذرها اللغوى الذى يبحث فيه عنها .

والثالث : المقدّمة : قدّم الصفدى لكتابه بمقدّمة هامّة [1] ، موجزة فى علم الصرف ، بدأها بأحرف الزيادة ، وساق عشرات الضوابط التى تجمع تلك الأحرف ، ألطفها - كما يقول - :

« أَسْلَمَنِى وَتَاه »

ثمّ بيّن الطرق التى يعرف بها الأصلى من الزائد ، وهى ثلاث : أوّلها الاشتقاق ، وثانيها عدم النظير ، وثالثها كثرة زيادة الحرف فى ذلك الموضع المخصوص ، وربّما انفرد واحد من هذه الطرق بالحرف ، وربّما اشترك طريقان ، وقلّما اجتمع فيه الثلاث .

فأمّا الاشتقاق : فهو أعدل شاهد كواو « كوثر » ؛ لأنّه من الكثرة وياء « صيرف » ؛ لأنّه من الصرف ...

وأمّا عدم النظير : فمعناه أنّك لو حكمت بأصالة الحرف ، لم تجد له نظيرا ، فى الأصول ، كنون « قَنْبر » ؛ لأنّك إذا حكمت بأصالته لكان به الكلام مثل جعفر ، هو معدوم .

وأمّا كثرة الزيادة : فكهمزة « أَفْكَل » - وهو اسم لِلرِّعْدَة - تحكم بزيادتها ، وإن لم تعرف اشتقاقه ؛ لكثرة زيادة الهمزة فى الكلمة كأحمر ، وأورق ، وأوّل .

فإذا انسدّت هذه الطرق الثلاثة حكمت بأصالة الحرف .

بعد ذلك تحدّث عن :

مواضع زيادة الأحرف : الهمزة ، والألف ، والياء ، والواو والميم ، والنون ، والتاء ، والهاء ، والسين ، واللام .

انتقل بعد ذلك إلى الإبدال ، فذكر الأحرف التى يقع فيها الإبدال وهى اثنا

---

(١) راجع : غوامض الصحاح ٤٨ - ٦٤ .

عشر حرفا ، ووضع لها ضابطا يجمعها ، وهو قولك : « جاء طويل أمنته » ، ثم بيّن المواضع التى تبدل فيها هذه الأحرف بعضها من بعض :

فالألف : تبدل من الواو والياء ، والهمزة ، ونون التوكيد الخفيفة .

والواو : تبدل من الألف ، والياء ، والهمزة .

والياء تبدل من الواو ، والهمزة ، والألف ، وأحد حرفى التضعيف فى مثل : دينار ، وأصله دنّار .

والهمزة : تبدل من الواو ، والياء ، والألف ، والهاء ، فى مثل آل والأصل أهل .

والطاء : تبدل من تاء الافتعال .

والميم : تبدل من النون ، والواو .

والتاء : تبدل من الواو، والدال .

والنون : تبدل من الهمزة ، فى مثل النسبة إلى صنعاء « صنعانى » .

والجيم : تبدل من الياء بدلا لا يقاس عليه .

والدال : تبدل من التاء .

واللام : تبدل من الياء ، فى مثل أصيلال « أصيّال » .

وليس بمطّرد

والهاء : تبدل من الهمزة ، والواو ، والياء ، والألف .

ويختم مقدّمته بالحروف التى تحذف ، وهو نوعان :

حذف قياسى : كحذف الواو من الأسماء الستة المضافة .

وحذف غير قياسى ، وضرب أمثلة له ، مثل : الله ، حذفت الهمزة وأصله الإله .

وأشير هنا إلى بعض الأمور :

أولا : كلمة « الغموض » فى العنوان لا تعنى غريب اللغة ، وقد أوقع هذا اللفظ بعض الدارسين فى الخطأ ؛ إذْ فهموا منه غير ما يريد صاحبه ، يقول أحمد عبد الغفور [1] :

---

(١) انظر : مقدمة الصحاح ١٨٤ .

« فهو فى » الغوامض « جلّى بعضها » .

والصحيح ما قاله الدكتور عبد الإله أنَّ « كلمة الغموض ههنا لا تتجه إلى ما يسمّى بغريب اللغة ، أو حوشيِّها ؛ وإنّما تتجه إلى غموض الاشتقاق وصعوبة رد الكلمة المذكورة إلى أصلها » [١] .

ثانيا : الصفدى هو أوّل من نبّه إلى ترتيب المعجم على حروف الهجاء ، مهملا الاشتقاق ، والتجريد ، فهو أسبق من الشيخ محمد النجارى ، والشيخ عبد الله العلايلى ، وجبران مسعود ، وغيرهم من المعاصرين الذين نهجوا هذا النهج [٢] .

ثالثا : لم يقصد الصفدى إلى إهمال التصريف ، والاكتفاء بالترتيب الساذج للكلمات ، بحسب حروفها ، والدليل على ذلك تلك المقدّمة الوافية فى التصريف ، والتى اقترح الدكتور نبهان أنّها يجب أن يشتمل عليها كل معجم [٣] .

رابعا : « وعد الصفدى فى مقدمة كتابه هذا بأنْ يفرد ما وهم فيه الجوهرى بالتصنيف ؛ لذلك لم يتعرّض لنقد الجوهرى إلاّ فى مواضع يسيرة « انظر كلمة : ترجمان ، ودردم ، على سبيل المثال » ولم يكن الصفدى يلتزم دائما بعبارة الجوهرى ؛ بل كان يتصرّف زيادة ، أو اختصارا « انظر : البرة » ، وقد يذكر كلمة لا نجدها فى الصحاح المطبوع بين أيدينا « انظر : البلنتعة » ، وقد يضيف تعليقات ليست فى الصحاح « انظر : بلهنية » ، وقد يعتريه السهو « انظر : البأو » [٤] ، وكل هذه القضايا نبّه عليها الدكتور نبهان فى حواشى الكتاب .

خامسا : قد يختلف توثيق الصحاح عن الغوامض ، وهو أمر يحتاج إلى مزيد توضيح ، فمثلا فى كلمة « الإبْرِيسَم » [٥] ذكر الجوهرى أنّ ابن السكّيت [٦]

---

(١) راجع : مقدمة غوامض الصحاح ٣٠ .

(٢) راجع مقدمتى : الصحاح ١٧٧ ، وغوامض الصحاح ٣٢ - ٣٣ .

(٣) مقدمة غوامض الصحاح ٣٤ .

(٤) مقدمة غوامض الصحاح ٣٤ .

(٥) راجع : الصحاح ٥ / ١٨٧١ ، وغوامض الصحاح ٦٥ .

(٦) أبو يوسف ، يعقوب بن إسحاق (١٨٦ - ٢٤٤ هـ) إمام فى اللغة والأدب ، صاحب إصلاح المنطق . انظر : نور القبس ٣١٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٢ / ٦ ، والعبر ١ / ٣٤٩ ، وبغية الوعاة ٢ / ٣٤٩ ، والكنى والألقاب ١ / ٣١٤ ، والأعلام ٨ / ١٥٩ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٢٤٣ .

ضبطها بكسر الهمزة والراء ، وفتح السين ، ونسب الصفدى هذا الضبط إلى ابن الأعرابى [١] ، فهل هو توثيق ثان للضبط ، أو هو سهو منه ؟ .

نفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهرى من الوهم

كتب الصفدى هذا الكتاب بعد غوامض الصحاح ، فقد جاء فى آخر خطبته قوله [٢] : « وقد خطر لى بعد الفراغ من هذا الكتاب أنْ أجمع ما فى الصِّحاح من الغلط والوهم ، وما خطا فيه الجوهرىّ إلى الخطأ ، وخرج منه السهم » .

ويبدو أنّ هذا الكتاب هو الذى أوحى إليه بعد تأليفه بدراسة اللحن ، فألّف كتابه « تصحيح التصحيف » الذى نصّ فى مقدمته على ذلك بقوله [٣] : « وأمّا ما عثرت عليه من التصحيف فى كتاب « الصحاح » ، للجوهرى فقد ذكرت ذلك مستوعبا فى كتابى « نفوذ السهم فيما وقع للجوهرى من الوهم » .

ومن هنا يمكن معرفة سنوات تأليف بعض كتبه على وجه التقريب ؛ ذلك لأنّ الصفدى كتب ، بخط يده فى نهاية مخطوط غوامض الصحاح [٤] : « وكتب مؤلفه الفقير إلى الله تعالى خليل ابن أيبك بن عبد الله الصفدى ، فى جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، بدمشق المحروسة » .

وجاء فى آخرها مخطوطة نفوذ السهم : « تم الجزء الأوّل من نفوذ السهم فيما وقع للجوهرى من الوهم ، وقد كتبت هذه النسخة من نسخة مصنِّفه - وهى المسوّدة - وذكر أنّ تأليفها فى مدّة كان آخرها يوم الأحد الحادى والعشرين من شهر رمضان المعظّم سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، بدمشق المحروسة ..» [٥] .

ومعنى ذلك أنّ الصفدى كتب نصف الكتاب فى أربعة أشهر ، وإذا افترضنا أنّه

---

(١) أبو عبد الله ، محمد بن زياد (١٥٠ - ٢٣١ هـ) راوية ، عالم باللغة ، له مؤلفات كثيرة ، منها : أسماء الخيل وفرسانها ، والنوادر ، وتاريخ القبائل .
انظر : الأعلام ٦ / ١٣١ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١١ .

(٢) غوامض الصحاح ٤٧ .

(٣) تصحيح التصحيف ٦٤ .

(٤) غوامض الصحاح ١٦٤ .

(٥) نفوذ السهم ١٠٨ / ب ، والجزء الثانى من الكتاب لم يصل إلينا .

كتب الجزء الثانى فى وقت مساو لهذا الوقت يكون قد انتهى من تأليف نفوذ السهم فى أوائل سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ، وأشار فى مقدمته إلى أنّه كان كتب « حلى النواهد » قبل « نفوذ السهم » قال [١] :

« ولمّا جمعت غوامضه ، ورتّبتها ، وألّفت دررها ، وهذّبتها تُقْت [٢] فى أثناء ذلك إلى الكلام على ما فيه من أشعار شواهده وتبيين إلى ما لا بدّ منه للأديب المتطلّع إلى جمع فرائده ، فأعان الله على ذلك ، وهوّن فيه المسالك ، ووضعت فى ذلك كتابى المسمّى « حلى النواهد على ما فى الصّحاح من الشواهد » ، وكنت فى أثناء مرورى ، بتصفّح أوراقه ، والتَّحَلّى بقلائد فوائده ، التى يقابلها طرْف النجم بإطراقه ، أعثر على الغلطة بعد الغلطة ، وأقع بالسقطة بعد السقطة ، فكم مررت فيه بتصحيف بعد تصحيف ، ووهْمٍ لا يليق كَدَرُه بصفاء ذلك التصنيف ، فوعدت نفسى عند الفراغ من حلى النواهد أنْ أجمع تلك الأوهام ، وأدوّنها فى مصنّف ما رآه لبيب إلاّ تُيِّم بحسنه أو هام ..» .

وإذا صحّت نسبة كتاب « نجد الفلاح فى مختصر الصحاح » [٣] له يكون قد كتبه بعد هذه الكتب الثلاث ؛ ذلك لأنّ هذا الكتاب لم يرد له ذكر فى كتب الصفدى ، ولم يحدّثنا عنه ، ولم ينسبه له أحد من القدماء الذين ترجموه .

ويقول أحمد عبد الغفور عطّار [٤] : « مختصر الصحاح للصفدى محذوف منه الشواهد ، وكثير من المواد ، والمواد التى حواها موجزة ، وذكر أنّ فيه ما يحتاج إليه القارئ العَجِل ، وأشار إليه « كشف الظنون » ولم ينسبه ، وكذلك لم ينسبه من كتبوا عن مختصرات الصحاح ، وعدّوه بينها ، ولكن مؤلف كتاب « أسماء المؤلفين » ذكر أنّه للصفدى » .

فإنْ صحّت نسبة الكتاب إليه يكون قد كتبه فى سنة ثمان وخمسين

---

(١) نفسه ٢ / أ .

(٢) تاقت النفس إلى الشىء : نزعت ، واشتاقت ، يتعدّ بنفسه ، وبحرف الجر إلى . انظر : اللسان « توق » ١٠ / ٣٣ .

(٣) راجع صفحة ٢١٥ .

(٤) راجع : مقدمة الصحاح ٢٠٤ .

وسبعمائة ، ومعنى ذلك أنَّ كتاب « تصحيح التصحيف » يكون قد كتبه فى أواخر سنة ثمان وخمسين ، أو فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة .

ومما يلفت النظر أنّ السنوات السبع - من ٧٥٧ إلى ٧٦٤ هـ - كانت أحفل سنوات عمر الصفدى بالإنتاج ، بالرغم من

تجاوزه الستين من عمره ؛ فقد كتب فيها : تصحيح التصحيف ، وحلى النواهد ، وغوامض الصحاح ، ونجد الفلاح ، ونفوذ السهم وصرف العين [١] الذى تأكّد أنّه كتبه فى سنة ٧٦٢ هـ ، أو بعدها ، وأعيان العصر [٢] الذى ذكر فيه تراجم رجال ماتوا قبل وفاته هو بعشرة أيّام فقط .

سبب تأليف الكتاب : فى مقدّمة الكتاب أشار الصفدى إلى أنّ كتاب الصحاح ، اشتهر بالسعادة ، وظهر بالإفادة ، واشتغل به العلماء والفضلاء ، لما بذله فيه صاحبه من جهد ، جمع فيه صحيح اللغة ، وأحسن ترتيبها ، وعندما عثر على بعض الهنات فيه ، تغضّ من قدر هذا الكتاب الجليل أراد أنْ ينبّه على تلك الأخطاء ، فقد رأى نقصا فى الحواشى التى كتبها عليه بعض العلماء ، أمثال :

الهروى [٣] ، وابن حمزة [٤] ، و« أمَّا الشيخ العلاَّمة ابن برّى [٥] فإنّه مدّ أطناب إطنابه ، وسها طرف السُّهى إلى ما أتى به من إسهابه ، ولكنّه :

بَدَا ، وَلَهُ وَعْدُ السَّحَابِةِ بِالرِّوَى وَصَدَّ ، وَفِينَا غُلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحْلِ [٦]

لأنّ سيله غادر كثيرا مما اجتحف ، وأعرى جملة وافرة لمَّا التحف ، هنَّ الهدايا

---

(١) راجع : صرف العين ٢٣٩ .

(٢) انظر : أعيان العصر ٣ / ٣٠١ .

(٣) أبو سهل ، محمد بن على بن محمد (٣٧٢ - ٤٣٣ هـ) أحد أئمة اللغة وله فيها مؤلفات . انظر : الأعلام ٦ / ٢٧٥ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٦٠ .

(٤) أبو النُّعَيْم ، على بن حمزة ، البصرى (ت ٣٧٥ هـ) أديب ، لغوى ، له مؤلفات كثيرة فى الردود على العلماء . انظر : الوافى بالوفيات ٢١ / ٧٤ ، والأعلام ٤ / ٢٨٣ ، ومعجم المؤلفين ٨٣/٧ .

(٥) أبو محمد ، عبد الله بن برّى بن عبد الجبار (٤٩٩ - ٥٨٢ هـ) لغوى ، تولّى رئاسة الديوان المصرى . انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ٨٠ ، والأعلام ٤ / ٧٣ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٣٧ .

(٦) البيت للمتنبى فى ديوانه ٢٧١ .

الرائعة والتحف ، فعدت على أثره متتبعا ما أهمل ، متطلّعا إلى ما ترك تفصيله لمَّا أجمل » [١] .

فالصفدى يصرّح هنا بأنّه يتمم ما بدأه ابن بَرّى الذى كانت له عناية تامّة فى تصحيح كتب اللغة ، وتدوين الحواشى عليها باللون الأحمر ، ومن رأى كتابا قد ملكه فهو الغاية فى الصحّة والإتقان ، وحواشيه على الصحاح لم تتم ، « ولو تمّت لكانت عجيبة » [٢] ، ويقول الصفدى : « إنّ ابن برّى - رحمه الله تعالى - وصل فى الحواشى على صحاح الجوهرى إلى « وقش » ، وكمّل عليه الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى البَشطِى [٣] إلى آخر الكتاب ، واسم هذا الكتاب « التنبيه والإفصاح عمّا وقع فى حواشى الصحاح » ، وهو كتاب جيّد إلى الغاية » [٤] .

خطّة الكتاب : جمع فيه ما قيل قبلا من تصحيحات ، للهروى ، وابن حمزة ، وابن برّى وغيرهم ، وتتبّع فيه حواشى ابن بَرّى خاصة ، وأضاف إليه ما أهمله ، وفصّل ما أجمله ، متحرّيا الدّقة ، والإنصاف ، والأمانة أو - على حدّ قوله - : « إنّنى أضربت فيه صفحا عن أشياء ذكرها يليق بمن تعنّت ، لا بمن ميّل عطفه سجع الحمائم إذا تغنّت » [٥] .

ورتّبه على أبواب الصحاح ، فيذكر عبارة الجوهرى بنصّها - فى الغالب ، ولا يتصرّف فيها إلاّ نادرا - « أو يجمع بعض عبارات متفرّقة ؛ ثم يرد عليها .

وفى اقتباسه لأقوال ابن بَرّى ، يوردها بنصّها أحيانا ، ويختصرها أخرى ، وتنبّه إلى ذلك القدماء ، فقيل عنه : قلّد فيه ابن بَرّى ، فلا يكاد تذكر مسألة من عنده إلاّ بعض أدبيات ، والاستدلال ببعض أبيات » [٦] .

---

(١) نفوذ السهم ٢ / ب .

(٢) الوافى بالوفيات ١٧ /٨٠ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة ، وفى مقدمة الصحاح ١٦٢ ، نقلا عن كشف الظنون « نسبة إلى بَشطة - بالفتح - من كورة جيان ، بالأندلس ، وتولّى إكمال التنبيه عام ٦٢٢ هـ .

(٤) راجع صفحة ٣٠٤ .

(٥) نفوذ السهم ٢ / ب .

(٦) المعجم العربى ٢ / ٥٢٦ .

وأكثر عناية الصفدى تنحصر فى بيان الأوهام الصرفية ، والاشتقاقية ، والتصحيف ، وسوء الترتيب ، وغموض التعبير ، وأخطاء التفسير .

قيمة الكتاب : يقول الدكتور حسين نصار عن الكتاب :

* زاد فيه الصفدى بعض أشياء ليست فى حواشى ابن برّى .

* كما زاد أشياء فى الأمور التى اشتركا فيها مراعيا الاختصار ، ولم يحذف من ابن برّى إلاّ الأماكن التى كان يتناول فيها شواهد الجوهرى ، بتكميلها ، ونسبتها إلى أصحابها ، ولعلّه حذفها لأنّه عالجها قبل ذلك فى كتابه « حلى النواهد » ، وأمّا المواضع التى نقده فيها ابن برّى بتصحيف الشعر فأبقاها فى كتابه [١] .

وإنْ كنت لم أطّلع على الكتاب المحقق ، والدراسة التى عليه إلاّ أنّنى لاحظت أنّ الصفدى لم يزد فى الحواشى فقط ؛ بل زاد فى متن الصحاح نفسه ما ليس فيه ؛ وبعبارة أخرى نبّه على ما أهمله الجوهرى من مواد ثبت أنّها صحيحة لغويا ، ولكى تتضح لنا قيمة الكتاب اللغوية ، وما فيه من جديد ؛ أقدّم بعض النماذج منه :

* فى أوّل مواد الصحاح « باب الهمزة فصل الهمزة » لم يذكر الجوهرى إلاّ مادّتين فقط ، هما : أجأ ، أولا ، وبعده ، آء [٢] .

فى أجأ ، قال الجوهرى : « أجأ على فَعَل - بالتحريك : أحد جبلى طيّئ ، والآخر : سَلْمَى ، وينسبُ إليهما الأَجَئِيُّون ، مثال : الأَجَعِيُّون » [٣] .

نقل الصفدى نص عبارة الجوهرى ، ثم قال [٤] : « الصواب أنْ يقول : والنسبة إليه ؛ لأنّه يريد بذلك النسبة إلى أجأ ، دون سلمى ثمّ إنّه ذكر بعد هذا الفصل « أأأ » وكان حقّه أنْ يذكر هذا قبل أجأ ؛ لأنّ الهمزة ، وبعدها الألف تتقدّم فى الوضع على الهمزة ، وبعدها الجيم ، ولكنه وهم .

---

(١) المعجم العربى ٢ / ٥٢٧ .

(٢) الصحاح ١ / ٣٤ .

(٣) يعلّق أحمد عبد الغفور عطّار على عبارة الجوهرى فى الحاشية رقم ٣ قال : « الصواب : وينسب إليها ؛ لأنّ الضمير يعود إلى أجأ ، وهى مؤنثة » ولاوجه لتأنيث أجأ ، كما زعم ، وعبارة الصفدى أصح ، وفى رأيى أنّ نسبة الجوهرى صحيحة إذا قصد التغليب ، وبخاصّة أنّه ينطبق عليها شروطه ، فيغلّب المذكر على المؤنث ، والجامع بينهما كونهما جبلين ، ولقبيلة واحدة .

(٤) نفوذ السهم ٣ / أ .

وكان يلزمه - أيضا - أنْ يذكر بعد الهمزة والألف « أبأ » وهى الهمزة والباء ، وهما أيضا متقدّمان على أجأ ، و« الأَباءة » : أجمة القصب ، والجمع « أَبَاء » ، ولكنّ الجوهرى - رحمه الله تعالى - وهم ؛ فذكره فى آخر الكتاب ، فى باب الواو والياء ، وهذا مكان هذا الحرف (١) .

وكان يلزمه - أيضا - أنْ يذكر بعد « أبأ » فصل « أتأ » وهى الهمزة والتاء ، ثالثة الحروف ، وهما - أيضا - متقدّمان على أجأ ، و« أَتْأَة » (٢) : اسم امرأة من بكر بن وائل ، وهى أم قيس بن ضرار ، قاتل المقدام ، ومنه قول جرير :

أَتَبِيتُ لَيْلَكَ ، يَابْنَ أَتْأَةَ ، نَائِمًا وَبَنُو أُمَامَةَ ، عَنْكَ ، غَيْرُ نِيَامِ

و« الثاء » وهى الهمزة والثاء ، المثلثة ، وهما - أيضا - متقدّمان فى الوضع على أجأ ؛ ولكنّه وهم - رحمه الله تعالى - وذهل عنه ، تقول من هذا : أَثَأْتُه بسهم : إذا رميته به ، وقد جاء - أيضا - فى هذه المادّة قولهم : أصبح فلان مُؤْتَثِيًا : إذا كان لا يشتهى الطعام ، رواه أبو عمرو بن العلاء » (٣) .

* وفى مادة « جيأ » قال الجوهرى (٤) : « وأَجَأْتُه ، أى : جِئْت به ، وجاءانى على فاعلنى ، فجئته أجيئه ، أى : غالبنى بكثرة المجىء ، فغلبته » .

---

(١) انظر : الصحاح ٦ / ٢٢٥٩ ، ونص عبارته : « الأباء - بالفتح والمدّ : القصب ، الواحدة « أباءة » ، ويقال : هو أجمة الحلفاء ، والقصب خاصّة » .

وأظنّ أنّ الذى أوقع الجوهرى فى هذا الوهم هو ما ذكره بعده « الإباء » بالكسر ، مصدر قولك : أبى فلان أى : امتنع ؛ فتوهّم أنّ الكلمتين من نوع واحد ، ولم يفرّق بين الهمزة الأصلية فى الأولى ، والمنقلبة عن الياء فى الثانية .

(٢) هذه المادّة ، وما بعدها مما أضافه الصفدى إلى متن الصحاح ، وهما منقولتان من لسان العرب ١ / ٢٣ ، وقد سبق أن ذكرت أنّ الصفدى اطّلع على الجزء الأول من لسان العرب ، فقط ، بحسب روايته ، راجع صفحة ٥٨٠ .

(٣) فى اللسان ١ / ٢٣ : « جاء فلان فى أُثْيِيَّةٍ من قومه ، أى : جماعة .

قال : وأَثَأْته : إذا رميته بسهم . عن أبى عبيد .

الأصمعى : أثيته بسهم أى : رميته ، وهو حرف غريب ، قال : وجاء - أيضا - أصبح فلان مُؤْتَثِيًا أى : لا يشتهى الطعام . عن الشيبانى » .

ونلاحظ - هنا - أنّ الصفدى نسب المعنى الأخير لأبى عمرو بن العلاء ، بينما نسبه ابن منظور للشيبانى ، فما أدرى هل هذا المعنى مروى عنهما أو أنّ أحدهما واهم ، فى روايته .

(٤) الصحاح ١ / ٤٢ .

قال الصفدى [١] : « قال ابن بَرّى - رحمه الله تعالى - :

صوابه جايأنى ، ولا يجوز ما ذكره إلاّ على القلب .

قلت : لأنّه قد جاء فى الحديث : « أمرهم أنْ يَتَبَاوَءُوا » [٢] ، هذه صيغة المفاعلة من هذين المصدرين » .

وقال الجوهرى [٣] : « وتقول : الحمد لله الّذى جاء بك ، أى : الحمد لله إذْ جئت ، ولا تقل : الحمد لله الذى جئت » .

وقال الصفدى [٤] : « قال ابن بَرّى - رحمه الله تعالى - :

الصحيح ما وجدته بخط الجوهرى ، فى كتابه ، عند هذا الموضع ، وهو « والحمد لله إذْ جئت » ، بالواو عوضا من أى ، ، ويقول :

صحّة هذا قول ابن السِّكّيت : تقول : الحمد لله إذ كان كذا ، وكذا ، ولا تقل : الحمد لله الذى كان كذا ، وكذا ؛ حتّى تقول : به ، أو منه ، أو عنه .

قلت : الذى وجدته فى نسخة صحيحة مضبوطة مقروءة معتنى بها : الحمد لله إذ جئت ، ولا تقل : الحمد لله الذى جئت ورأيت نسخة بخط ياقوت الكاتب [٥]: الحمد لله الذى جاء بك ، ولا تقل : الحمد لله الذى جئت .

وكذلك رأيت نسخة بخط الشيخ الإمام الفاضل عز الدين محمد ابن

---

(١) نفوذ السهم ٤ / أ .

(٢) فى اللسان « بوأ » ١ / ٣٧ « وتباوأ القتيلان : تعادلا ، وفى الحديث : « أنّه كان بين حيين من العرب قتال ، وكان لأحد الحيين طوْلٌ على الآخر فقالوا : لا نرضى حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم ، وبالمرأة الرجل ، فأمرهم النبى « أنْ يتباءَوْا » . قال أبو عبيدة : هكذا رُوِى لنا ، بوزن يتباعوا ، قال : « والصواب - عندنا - أن يتباوءوا ، بوزن يتاوعوا ، على مثال يتقاولوا ، من البَوَاء : وهى المساواة ، يقال : باوأت بين القتلى : أى ساويت ؛ قال ابن بَرّى : يجوز أنْ يكون يتباءوا على القلب ، كما قالوا : جاءانى ، والقياس جايأنى فى المفاعلة من جاءنى ، وجئته ؛ قال ابن الأثير : وقيل : يتباءوا صحيح » .

(٣) تكملة المادة السابقة : الصحاح ١ / ٤٢ .

(٤) نفوذ السهم ٤ / أ .

(٥) ياقوت بن عبد الله ، الموصلى ، أمين الدين ، الملكى (ت ٦١٨ هـ) أديب ، كاتب ، خطّاط ، كانت تباع نسخة الصحاح بخطه بمائة دينار .

انظر : الأعلام ٨ / ١٣٠ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ١٨٠ .

الشِّرْوَانِى [١] : الحمد لله الذى جاء بك ، أى : الحمد لله بعد إذ جئت ، ولا تقل : الحمد لله الذى جئت .

وكذلك رأيت نسخة أخرى بخط على بن الحسن ، ابن أبى على الشيرازى [١] : وتقول : الحمد لله الذى جاء بك ، أى : الحمد لله إذ جئت ، ولا تقل : الحمد لله الذى جئت » .

* قال الجوهرى [٢] : « والأصحاب : جمع صَحْب ، مثل فَرْخ وأفْرَاخ » .

قلت : هذا سهو منه - رحمه الله تعالى - بل أصحاب : جمع صاحب ، كشاهد وأشهاد ، والصحيح فَرْخٌ وفِرَاخ ، وأفراخ ليس بلغة فصحى » [٣] .

* قال الجوهرى [٤] : « والمصاب : الإصابة ، قال الحارث بن خالد المخزومى [٥] :

أَ ظُلَيْمُ إنَّ مُصَابَكَمْ رَجُلاً يُهْدِى السَّلامَ عَلَيْكُمُ ظُلْمُ »

قلت : ويقع فى بعض النسخ الحارث بن هشام المخزومى [٦] ، ويقع فى بعض النسخ للعرجى [٧] ، وكذا ذكره الحريرى فى دُرّة الغواص ، والصحيح أنّه للحارث ابن خالد المخزومى .

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) الصحاح ١ / ١٦١ .

(٣) نفوذ السهم ١٩ / ب .

(٤) الصحاح ١ / ١٦٥ ، والرواية فيه « والمصاب : الإصابة ، وقال الشاعر :

أَ سُلَيْمُ إنَّ مُصَابَكَمْ رَجُلاً أَهْدَى السَّلامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ »

(٥) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام (ت نحو ٨٠ هـ) شاعر غزل ، جمع الدكتور يحيى الجبورى شعره . انظر : الأعلام ٢ / ١٥٤ .

(٦) أبو عبد الرحمن ، الحارث بن هشام بن المغيرة ، المخزومى (ت ١٨ هـ) صحابى ، من المؤلّفة قلوبهم ، قيل : إنّه استشهد فى اليرموك سنة ١٥ هـ ، وقيل : مات فى طاعون عمواس . انظر : الوافى بالوفيات ١١ / ٢٤٩ ، والأعلام ٢ / ١٥٨ .

(٧) أبو عمرو ، عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان رضى الله عنه الأموى ، القرشى (ت نحو ١٢٠ هـ) من شعراء قريش المشهورين بالغزل ، وفرسانها المعدودين ومن المجاهدين الكرماء . انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ٣٨٤ ، والأعلام ٤ / ١٠٩ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٩٥ .

ويقع فى بعض النسخ أَ سُلَيْمُ ، ويقع فى بعضها أَ ظَلُوم ، والصحيح أنّه أَظُلَيْم مصغّر ظلوم ، وقد أوضحت إعرابه فى كتابى حلى النواهد [١] .

فانظر إلى أى مدى بلغ الإتقان والتحرّى عند الصفدى ، ولو أردت استقصاء صور الدّقة ، فى ما يقول ، وفيما ينقل لذكرت كل الكتاب ، وتكفى هذه الأمثلة دليلا على تفرّده فى فن المقابلة ، والموازنة بين النصوص ، وفى الإحالة على « حلى النواهد » ما يؤكد صدق ملاحظة الدكتور حسين نصار ؛ فقد ذهب إلى أنّ ترك الشواهد من حواشى ابن بَرّى ربّما بسبب معالجته لها فى هذا الكتاب الذى خصصه لإعراب الشواهد ، وبيان اختلاف النسبة ، وفروق الرواية .

جهوده اللغوية فى كتبه الأخرى :

عرض الصفدى كثيرا من القضايا اللغوية فى كتب الشروح والتراجم ، والأدب ، وهذه أهم القضايا التى أثارها ، وأماكن وجودها فى كتبه :

* المشترك : فى صرف العين ٥٤٥ - ٥٧٢ ، وفض الختام ١٩٢
* المتواطئ : فى صرف العين ٥٧١ .
* التغليب : فى صرف العين ٥٧٤ ، والغيث المسجم ٢ / ١٨٩ .
* المجانسة : جنان الجناس ٢٣ .
* المماثلة : فى جنان الجناس ٢٤ .
* المشاكلة : جنان الجناس ٢٤ .
* المشابهة : جنان الجناس ٢٤ .
* المساواة : جنان الجناس ٢٤ .
* الموازاة : جنان الجناس ٢٤ .

---

(١) نفوذ السهم ٢٠ / أ ، وفى الأصل « حسن النواهد » سهو من الناسخ ، وفى قوله مصغّر ظلوم سهو من المؤلف ؛ لأنّ مصغّر ظلوم ظُلَيّم ، بتشديد الياء والبيت لا يتّزن ، والصواب ما جاء فى حاشية الصحاح « قال ابن بَرّى : الصواب أظليم ترخيم ظُلَيْمَة ، وهى أُمّ عمران ، زوجة عبد الله بن مطيع ، وكان الحارث بن خالد بن العاص المخزومى ينسب بها ، ولمّا مات زوجها تزوّجها ، وبعده :

أَقْصَيْتِهِ ، وَأَرَادَ سَلْمَكُمُ فَلْيَهْنِهِ إِذْ جَاءَكِ السَّلْمُ

* المطابقة : جنان الجناس ٢٤ .
* المضاهاة : جنان الجناس ٢٤ .
* الهوهو : جنان الجناس ٢٥ .
* الاشتقاق من الأسماء : الغيث المسجم ١ / ٩٢
* البرهان اللمى والبرهان الآنى : الغيث المسجم ١ / ١٢٩ ، و٢/ ٢٤٩ .
* أسماء الجنة والنار : الغيث المسجم ٢ / ١٠٣
* أسماء الشمس : الغيث المسجم ٢ / ٢٤٣ .
* درجات العشق : الغيث المسجم / ٤٢٦ ز
* الرؤيا ، والرؤية : الغيث المسجم ٢ / ١٢٢ .
* العَجَل = الطين : الغيث المسجم ٢ / ١٧١ .
* اشتقاق الناس : الغيث المسجم ٢ / ٢٠٧ .
* إلا : لا تأتى بمعنى حتّى : الغيث المسجم ٢ / ٤٢٠ .
* الأوالى بمعنى الأوائل : الغيث المسجم ٢ / ٤١٩ .
* تأنيث فَعُول : الغيث المسجم ٢ / ٣١٠ .
* لم يأت من النعوت على وزن فِعَل إلاّ عِدا : الغيث المسجم ١/ ٣٨٢ .
* جمع حديث : الغيث المسجم ١ / ٤٠٧ .
* جمع كرائم : الغيث المسجم ١ / ٤١٧ .
* جمع أندية : الغيث المسجم ١ / ٤٣٨ .
* أكْبَرْنَ بمعنى حِضْنَ : الغيث المسجم ٢ / ١٦ .
* جمع امرؤ ، وتأنيثه : الغيث المسجم ٢ / ٤٥ .
* دع ، وذر : الغيث المسجم ٢ / ٦٢ .
* قضايا لغوية : الغيث المسجم ٢ / ٧١ ، و٢٨٢ .
* أيدى ، وأيادى : الغيث المسجم ٢ / ٧٣ .

وتراجع الفصول الآتية فى صرف العين :

* فى جملة المشترك فى العين لغة ٤٢١ .
* العين لفظ مشترك ٥٤٥ .

* فصل فى حلى العين ٦١٤ .
* فصل فى محاسن العين ٦٤٢ .
* فصل فى معايب العين ٦٤٤ .
* فصل فى عوارض العين ٦٦٧ .
* فصل فى كيفية النظر وهيئته ٦٧٢ .
* فصل فى تسمية أجزاء العين ٦٧٨ .
* فصل فى تشريح العين ٦٩٣ .
* فصل فى طبع العين ومزاجها ٧٠١ .
* فصل فى ذكر طبقات العين ٧٠٧ .

مكانة الصفدى اللغوية : من هذا العرض يتبيّن للباحث أصالة هذا العالم اللغوى المتقن ، وتتجلّى جهوده فى :

* استكمال النصوص ، وإضافة مواد جديدة للمتون .

* نقد المتون ، وبيان ما فيها من خطأ فى الأسلوب ، أو النسبة ، أو الرواية ، أو الترتيب ، أو التصريف .

* جمع آراء الأقدمين فى نقد « الصحاح » ، وعرضها ، والتعليق عليها ، واستكمالها .

* تبدو أصالته فى آرائه الخاصّة التى انتقد بها « الصحاح » فى المواضع التى أهملها غيره ، أو سها عنها .

* يعتبر كتابه « تصحيح التصحيف » أوسع كتب اللحن إحاطة وأغزرها مادّة ، وأكثرها ضبطا .

* معالجة كثير من القضايا اللغوية كالتغليب ، والمشترك ...